دفن بولينيكيس
للمرة الثالثة

د. ليلى محمد عبد المنعم

دفن بولينيكيس للمرة الثالثة

د. ليلى محمد عبد المنعم

في مأساة انتيجونى لسوفوكليس نجد انتيجوني – سواء بدافع الحب بمفهومه العام (١) ، أو حب العشيرة (٢) ، أو تمسكاً بالعرف والقيم الإجتماعية (٣) ، أو بقوانين الالهة (٤) ، أو بمعظم هذه القيم معاً (٥) تقوم برفض قرار كريون بحظر دفن جثمان شقيقها بولينيكيس (٦) ، فتدفنه مرتين ، وحتي حين يتم القبض عليها في المرة الثالثة ، ويسألها كريون إذا كانت هي التي قامت بذلك أم أنها تنكره ، نجدها تصرّ على الاعتراف بما قامت به وعلي عدم إنكاره (٧) .

والملاحظ أن موضوع دفن بولينيكيس قد أثار جدلاً كثيراً من النقاد ، فاستنكر البعض فكرة الدفن مرتين زاعمين أن صب السكائب التي لم تحضرها انتيجونى في المرة الأولي ، كان الدافع من الزيارة الثانية وليس الدفن (٨) . وآخرون يعتقدون أن دفن بولينيكيس لم يتم إلا في المرة الثانية (٩) .

علي أنه ليس من اليسير – في تقديري – قبول هذين الرأيين لأن انتيجونى نفسها تعترف بأنها قد دفنت شقيقها مرتين (١٠) ، كما أنه ليس هناك مايدفع انتيجونى إلي الإعتراف بشيء لم تفعله ، فلايتفق هذا مع شخصيتها ، بما تتصف به من صدق مع نفسها وإيمان تام بمواقفها أن تنسب لنفسها مالم تفعله . وفى هذا الصدد تكفي الإشارة – في تقديري – إلي رفض انتيجونى إدعاء اسمينى – في مواجهة كريون – دفن بولينيكس في محاولة لإنقاذ شقيقتها من عقابه (١١) . ففي هذا الموقف يتجلى صدق

انتيجوني البطولي ، وتمنعها جرأتها وبطولتها وتحديها للموت أن تضعف وتغتنم ذلك الإدعاء ، وإنما ترفضه – بما عرفت به من صدق مع نفسها والإيمان التام بمواقفها والثبات علي المبدأ في عناد صلد – قائلة :

σὺ μὲν γὰρ εἶλου ζῆν, ἐγὼ δὲ κατθανεῖν. (١٢)

فأنتِ قد اخترت الحياة ، أما أنا (فقد اخترت) الموت .

فإذا كان دفن بولينيكس قد تم فى المرتين – الأولي والثانية – خروجاً علي قرار كريون بحظر دفنه ، أى بشكل غير رسمي ، فإن الدفن الرسمى قد تم على يد كريون عندما تراجع عن حظر دفنه (١٣) ، بناء على تحذير من تيريسياس (١٤) ، وتنبؤه بموت هايمون (١٥) .

والغرض من هذا البحث هو تناول أثر تغير موقف كريون المفاجيء علي إمكانية تغير مصير أنتيجونى ، وسير أحداث المأساة ، ودلالات هذا التغير فيما يخص رسم شخصية كريون في هذه المأساة .

ففيما يخص احتمال تغير مصير أنتيجوني وسير أحداث المأساة نتيجة تغير موقف كريون بعد تحذير تيريسياس ، فإن آراء الدارسين قد تباينت في هذا الصدد تبايناً ملحوظاً . فالبعض يعتقد أنه إذا لم يكن كريون قد قام بدفن بولينيكيس قبل تحرير أنتيجونى ، لكان في مقدوره تجنب موت أنتيجونى (١٦) . وآخرون يرون أنه مهما كان الأمر فإن موت أنتيجونى كان مصيراً محتوماً سواء بدأ كريون بدفن بولينيكيس أو لم يبدأ به (١٧) .

ويفهم من ذلك أن الفريق الأول يستند فى رأيه إلي العامل الزمني ، بمعني أن تأخر كريون في الوصول إلي سجن انتيجوني هو المتسبب في التعجيل بموتها . وقد يكون من الوارد هنا أن نفترض أن كريون

وحاشيته قد أطالوا في تنفيذ مراسم دفن بولينيكيس ذلك لأنهم بدأوا بالابتهال απησαντες للآلهة ، ثم غسلوا λουσανTes الجثمان ، وبعد ذلك وضعوه فوق أغصان خضراء صغيرة εν νεοπασιν θαλλοις وأخيراً واروه التراب χωσαντες (١٨) . فى حين أن البدء بهذه الخطوة الأخيرة – باعتبار أهميتها – كان سيؤدي إلي إختزال الوقت إلى حد كبير . ومع ذلك فإن الفترة الزمنية التى أمضوها في هذا الأمر لايمكن التكهن بها ، بل إنى لاأجد – في تقديري – مايدعو إلي الربط بين تأخر كريون واحتمال إنقاذ أنتيجونى من الموت . فمن يدرينا أن تكون أنتيجوني قد شنقت نفسها بمجرد دخولها السجن (١٩) ، وهو سلوك غير مستبعد من إمرأة مثل أنتيجوني ذات طبيعة خاصة (٢٠) ، أصرت على مواجهة الموت بعزم لا يلين (٢١) وحتي إذا اتجه كريون إلي السجن لتحرير أنتيجوني قبل دفن بولينيكيس ، باعتبار أن تيريسياس لم يلمح له إلى فعل إحداهما قبل الاخر ، فإن إنقاذ انتيجونى من الموت سيظل أيضاً أمراً مفترضاً .

وأنا – في الواقع – أميل إلي فكرة حتمية موت أنتيجوني ، مستندة في رأيي هذا إلي تلميح تيريسياس إلي كريون بموت إبنه هايمون :

ἀλλ' εὖ γέ τοι κάτισθι μὴ πολλοὺς ἔτι
τρύχους ἀμιλλητῆρας ἡλίου τελεῖν,
ἐν οἷσι τῶν σῶν αὐτὸς ἐκ σπλάγχνων ἕνα
νέκυν νεκρῶν ἀμοιβὸν ἀντιδοὺς ἕσει. (٢٢)

اعلم الآن تمام العلم إنه لن
تنقضي أيام كثيرة
قبل أن تقدم فلذة من فلذات كبدك

جثة هامدة نظير جثة (أخري) .

فموت أنتيجوني سيترتب عليه مقتل هايمون ثم انتحار يوريديكي ومن ثمّ تتحقق مأساة كريون . وطالما أن موت أنتيجونى أمر محتوم ، أو أن إمكانية حدوثه أمر قوي علي الأقل ، فربما كان تشويق المشاهد لمتابعة مايترتب علي تحذير تيريسياس – من تغير في سير أحداث المأساة وتغير في سلوك كريون – هو هدف سوفوكليس . ولاغرابة إذاً أن تنتاب المشاهد حالة من الحيرة والترقب حول رد فعل كريون بعد تحذير العراف ، هل سيستجيب له كريون أم أنه سيصم أذنيه عن سماع النصح والتحذير . ومن المتوقع أن يزداد تشويق المشاهد حين يتوجه كريون إلي الجوقة – بعد تحذير تيريسياس – طالباً النصح والمشورة :

τί δῆτα χρὴ δρᾶν; φράζε· πείσομαι δ' ἐγώ. (٢٣)

مالذي يلزم – حقاً – أن أفعله ؟ أشيروا علىّ وأنا بدورى سأستجيب (لكم) .

كما يتصاعد تشوق المشاهد حين تنصح الجوقة كريون بتحرير أنتيجونى ودفن بولينيكيس في عبارة توحى بأن التحرير سيسبق الدفن :

ἐλθὼν κόρην μὲν ἐκ κατώρυχος στέγης
ἄνες, κτίσον δὲ τῷ προκειμένῳ, τάφον. (٢٤)

اذهب وحرر الفتاة من قبرها

واقم مقبرة للجثمان المسجى .

علي أن كريون – علي عكس مايتوقع المشاهد من خلال نصيحة

الجوقة – يقرر التوجه أولاً لدفن بولينيكيس ثم تحرير أنتيجوني :

οἵ τ' ὄντες οἵ τ' ἀπόντες, ἀξίνας χεροῖν
ὁρμᾶσθ' ἑλόντες εἰς ἐπόψιον τόπον.
ἐγὼ δ', ἐπειδὴ δόξα τῇδ' ἐπεστράφη,
αὐτός τ' ἔδησα καὶ παρὼν ἐκλύσομαι.
(٢٥)

انتم جميعاً ، حاملين الفئوس بين أيديكم

هرولوا إلى المكان المعروف

وأنا ، مادام الرأي قد تم توجيهه إلى هذه الوجهة ،

فقد تقيدت بذلك ، وعند حضوري سوف أحررها .

وربما ينتاب المشاهد – نتيجة ذلك – شعور بالتوتر والقلق ، غير أن الجوقة تهدىء من روعه بأغنيتها المتفائلة التي أعقبت خروج كريون وأتباعه لدفن بولينيكيس وإنقاذ أنتيجوني ، حيث تترنم الجوقة بكلمات مرحة تعبر عن استبشارها بقرب خلاص المدينة من الوباء الذى اجتاحها (٢٦) . علي أن شعور المشاهد والجوقة معاً بالاطمئنان والتفاؤل ينقلب إلي شعور بالصدمة عندما يفاجئهم الرسول باعلان موت أنتيجونى وهايمون (٢٧) . أى أن كريون قد دفن بولينيكيس ولم يحرر أنتيجوني . وعلى ذلك فهو لم يتمكن من تنفيذ نصيحة تيريسياس بكاملها ، وبالتالى أصبحت مأساة كريون التى تنبأ بها تيريسياس واقعاً لامفر منه بإنتحار ولده هايمون ، ثم تكتمل أركان المأساة بانتحار زوجته يوريديكى (٢٨) .

وبعد أن حاولت أن أعالج موضوع تغير موقف كريون المفاجىء – بناء

علي نصيحة تيريسياس - وأثره في إمكانية تغير مصير أنتيجونى وسير أحداث المأساة ، وأن أبين كيف أن محاولة كريون - رغم إنها باءت بالفشل - إلا أنها أضفت علي الأحداث جواً من الترقب والتوتر ، انتقل بعد ذلك إلي النقطة الثانية في هذا البحث وهي دلالات تغير موقف كريون الرافض - من قبل - لدفن بولينيكيس فيما يخص رسم شخصيته في هذه المأساة .

لقد أصبح من الواضح الآن أن التغير الذي طرأ على موقف كريون من الدفن ترتب علي نبوءة تيريسياس وتحذيره كريون من موت إبنه . ومن الملاحظ أن سوفوكليس قد أرجأ مشهد تيريسياس إلي الثلث الأخير - تقريباً - من المأساة . وفي تصورى أنه قد هدف من وراء ذلك إلي تخصيص مساحة زمنية كبيرة - قبل موقف تيريسياس - تسمح بإلقاء الضوء علي سمات شخصية كريون بما يعتورها من أوجه نقص كثيرة لرفضه دفن بولينيكيس أول الأمر ، ثم تسليط الضوء عليه بعد تغير موقفه نتيجة تحذير العراف تيريسياس .

ولقد اختلف الرأي حول تحديد سمات شخصية كريون من خلال رفضه دفن بولينيكيس . فهناك رأييقول أن موقفه المتشدد من الدفن يرجع إلي حرصه التام على حماية قانون الدولة الذى يحرم دفن الخونة (٢٩) . ويرجع عناد كريون وإصراره على حظر الدفن - في رأى اخر - إلي صراع شخصي بينه وبين أنتيجونى ، فلقد نسى في غمرة صراعه معها وتحديه إياها - قوانين الآلهة التي تؤمن بها أنتيجونى والتي أنزلت به عقاباً صارماً جزاء فعله (٣٠) .

ومما يستلفت النظر في هذين الرأيين أن كلاً من كريون وأنتيجونى له سنده الديني في موقفه من الدفن ، فكريون يري أن الآلهة لاترحب بدفن

المعتدى علي المدينة وأضرحة آلهتها (٣١) ، في حين تؤمن أنتيجونى بأن الدفن واجب تتطلبه قوانين السماء الخالدة (٣٢) . لكن موقف كريون أضعف من موقف أنتيجوني ، إذ لاتدعمه – كما يزعم – القوانين الإلهية ، بل إنه يتعارض معها (٣٣) . أى أن موقف كريون ينطلق من مفهومه الديني الخاص سواء صدق أم أخطأ . وأيا كان الأمر فإن كريون لايواجه أنتيجونى بسنده الدينى ، ربما لأنه شُغل بتحديها لسلطته ، وبات لايهمه مجادلتها ، وإنما يهمه مواجهة تمردها ، مما يشير إلي إهتمامه بسلطته أكثر من إهتمامه بتوضيح موقفه ، وذلك أحد العيوب الرئيسية في شخصية كريون .

ولعل الاهتمام بالسلطة ، والحساسية المفرطة ضد المعارضة والرأى الاخر هما أحد العيوب التى تحول الحاكم إلي طاغية . ويُعتبر كريون في هذه المأساة نموذجاً للطاغية من حيث الإنفراد بالرأى ، ورفض المشورة أو النصح وسرعة الغضب ، والتردد في إتخاذ القرار ، والخوف من الآخرين والشك فيهم ، والاستياء من النساء ، وحب السيطرة (٣٤) .

ولقد جسّد أحد مشاهد المأساة جوانب من هذه الصفات ، ففى المشهد الذى يجمع بين هايمون وكريون عقب القبض على أنتيجونى ، نرى هايمون ينصح أباه كريون بألا يستقل برأيه ، بل يهتم برأى أهل المدينة الذين لايجرؤن علي التفوه به ، وأن يلتفت إلى التذمر الذي يسود بينهم (٣٥) . فإذا بكريون لايعبأ بنصيحة إبنه ، بل يشك في صدق نواياه ، ويتملكه غضب عنيف فيتهم إبنه بأنه يدافع عن قضية إمرأة ، عن خطيبته أنتيجوني (٣٦) . وفي نفس المشهد يعبر كريون عن استيائه من النساء ، ونظرته المتدنية إليهن خاصة إذا أبدين تمرداً أو معارضة ، وذلك حينما كان يحاول إقناع إبنه بالتخلي عن خطيبته أنتيجونى لإنها – في نظره – إمرأة سيئة لاتصلح

له (٣٧) ، فلا يصح للمرأة أن تسود الرجل (٣٨) ، ولا أن تكون نداً له ، فطرد الحاكم من حكمه أهون عليه من مساواته بإمرأة (٣٩) . ومثل هذه النظرة قد جعلت كريون يتخذ موقفاً متشدداً من معارضة أنتيجونى (٤٠) .

والجدير بالذكر أن تصوير كريون في هذه المأساة علي هذه الصورة ، قد جعل أحد الدارسين يقول أنه – من الناحية الفنية – بطل هذه المأساة ، فهو يتجاهل صلات القرابة ، ويعارض كل نصيحة ، ويصم أذنيه أمام الاستعطاف والتوسل ، ولايبالى بالحقوق أو العواطف الإنسانية ويواصل – في عناد – السير في طريقه الذى قرره بنفسه ، وتقدم لنا صفاته تلك الدرس التراجيدى (٤١) .

وقد يكون من المناسب أن نتساءل عما إذا كانت نصيحة تيريسياس لكريون – بدفن بولينيكيس وتحرير أنتيجوني – ذات تأثير في شخصية كريون ، سواء تراجع عن تصرفاته السابقة أم تمادي فيها . يقول أحد الدارسين أن ذلك التحذير كان فرصة تتيح الكشف عن احتمال تحسن سلوك كريون وشخصيته ، فإن استجاب لنصيحة تيريسياس أثبت أنه صار رجلاً أفضل بغض النظر عن عواقب أفعاله السابقة (٤٢) . ونخرج من هذا الرأى بأن تغير شخصية كريون لم يبدأ بمجرد سماعه نصيحة تيريسياس بدفن بولينيكيس وتحرير أنتيجونى (٤٣) ، بل استمرت شخصيته علي ماهي عليه حتي لحظة موافقته علي تنفيذ نصيحة العراف .

فما من شك أن شخصية كريون لازالت تطل علينا بكل ما فيها من عناد وصلف وطغيان ، فهو يقابل نصيحة العراف بالهجوم عليه والتشكيك في صدق نواياه ، بل يتهمه بالمتاجرة بالكلام والرشوة (٤٤) ، ثم يعلن عن عناده

وتحديه ورفضه للنصيحة بقوله أنه لن يغير موقفه ولن يتراجع عن حظر دفن بولينيكيس حتي ولو حدثت معجزة من السماء :

οὐδ' εἰ θέλουσ' οἱ Ζηνὸς αἰετοὶ βορὰν
φέρειν νιν ἁρπάζοντες ἐς Διὸς θρόνους,
οὐδ' ὡς μίασμα τοῦτο μὴ τρέσας ἐγὼ
θάπτειν παρήσω κεῖνον.
(٤٥)

حتى إن شاءت نسور زيوس

أن تحمل جثمانه – وهي تقبض عليه بمخالبها – إلي عرش زيوس ،

وحتى إن كان هذا (الجثمان) دنساً ، فإنني دونما خوف لن أسمح بدفنه .

وفي تقديري أن شخصية كريون لم تتخلص من عيوبها استجابة لنصيحة تيريسياس في حدّ ذاتها ، إنما عندما فُجع بانتحار إبنه وزوجته . فاستجابة كريون لنصيحة تيريسياس قد نبعت من دافع خاص هو خوفه من هلاك إبنه الذي تنبأ به تيريسياس (٤٦) ، ولم تنبع أساساً من دافع عام كالرغبة في إنقاذ المدينة من الوباء ، مما يكشف عن ذاتية كريون وأنانيته وإدعاءاته الزائفة .

وحينما يبدأ كريون في تنفيذ نصيحة تيريسياس ويأخذ أهبته لدفن بولينيكيس وتحرير أنتيجونى لانجده يقدم علي ذلك عن طيب خاطر أو عن اقتناع تام ، بل يشعر بأنه مضطر إلي ذلك (٤٧) ، فلولا أن الأمر مرتبط بانقاذ إبنه من الهلاك ، ماستجاب إلي نصيحة تيريسياس .

وفوق ذلك ، فإن كريون يشعر في هذا الموقف بالحسرة علي العدول

عن رأيه ، مما يكشف عن جانب اخر من عيوب شخصيته ، وهو المبالغة في الاعتداد برأيه . ونستخلص تلك الصفات من الأبيات التالية :

οἴμοι· μόλις μέν, καρδίας δ' ἐξίσταμαι, (٤٨)
τὸ δρᾶν· ἀνάγκῃ δ' οὐχὶ δυσμαχητέον.

يالشقائيَ ، لقد تخليت عن فعل (قريب) إلي القلب

لكن يجب علي المرء ألا يتصدي للقدر دون جدوى .

أما تغير كريون الحقيقى وتخلصه من عيوبه فلانشعر بهما إلا بعد أن يعود من سجن أنتيجوني حاملاً جثمان هايمون دليل خطئه (٤٩) ، وبعد انتحار زوجته يوريديكى (٥٠) . عندئذ نرى في كريون شخصية جديدة ، أفضل مما كانت عليه . فشخصيته قد تخلصت من صلفها وعنادها وتشبثها برأيها ، شخصية تعترف بخطئها ولكن بعد فوات الأوان :

ἐμαῖς οὐδὲ σαῖσι δυσβουλίαις. (٥١)

(ذلك) بسبب حماقاتى وحدها .

ὤλοι μοι, τάδ' οὐκ ἐπ' ἄλλον βροτῶν στρ. δ' (٥٢)
ἐμᾶς ἁρμόσει ποτ' ἐξ αἰτίας. (٥٣)

الموت لي ، فذلك نابع

من خطأ يُعزي إليّ لا إلي أى مخلوق آخر .

وهكذا فإن دفن بولينيكيس للمرة الثالثة – بناءً علي تحذير العراف – وهو الدفن الرسمى ، تم علي يد كريون بعد أن دفنته أنتيجونى مرتين . وقد

ساعد بكل ماأحاط به من ملابسات علي بلورة كل من حدث المأساة ، وقضيته وشخصيته الرئيسية . فلقد جعل ذلك الموقف الأنظار تتعلق باتجاه سير أحداث المأساة الجديد الناجم عن تغير موقف كريون الرافض للدفن من قبل وباحتمال تغير مصير أنتيجوني وهايمون .

ويُعتبر الدفن للمرة الثالثة موقفاً مركزاً من مواقف قضية الدفن في مأساة أنتيجونى ، وذلك لأنه يضع صاحب قرار حظر الدفن أمام رأى الدين ممثلاً في العراف وتيريسياس . ومن ناحية أخري ، فإن تراجع كريون عن حظر دفن بولينيكيس ، وبعبارة أخري استجابته لنصيحة تيريسياس ، قد أفاد في الكشف عن شخصية كريون بكل مافيها من عيوب لم يتخلص منها إلا بعد أن حلّت به كارثة انتحار إبنه وزوجته ، فأدرك أنه كان أولي به أن يتحلي بالعقل والحكمة بدلاً من العناد وصلابة الرأى .